الفنان في شبابه
من يوميات
جواد سليم

جواد سليم اعظم رسام ونحات عراقي في العصر الحديث . توفي اثر نوبة قلبية في بغداد في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٦١ عن ٤٢ عاماً .

في ١٩٤١ ، وكان قد عاد من دراسة النحت لوقت ما في باريس وروما ، شرع في كتابة يوميات دعاها «مرآة وجهي». وكان اذ ذاك في الثانية والعشرين من عمره.

وهذه اليوميات ، على تقطعها وتباعدها المتزايد على مر السنين ، سجل عفوي صريح لتجربة جواد سليم الشخصية والفنية ، سجل لبحثه ، وتطوره الفكري والعاطفي . وهي اقرب الى حديث الفنان الى نفسه في مونولوغ طويل ، لشدة ما في تفاصيلها ورسومها من صميمية وتلقائية .

غني عن الذكر اننا في ما اخترناه منها تجنبنا ذكر اسماء الاشخاص ، فيما عدا الاجانب منهم ، الا في مواضع قليلة ؛ واننا لم نبدل في لغتها. وقد اقتصرنا على الفترة التي قضاها الفنان في بغداد بعد عودته من باريس وروما الى يوم مغادرته اياها الى لندن (مدرسة السليد) لاستئناف الدراسة في ٨ شباط (فبراير) ١٩٤٦ . غير ان النبذة الاولى هنا مأخوذة من اليومية التي يبدأ بها دفتر يوميات الفنان .

وننشر بعد هذه المختارات الرسوم التي خللها الفنان يومياته .

وقد اختار هذه اليوميات وهيأها للنشر جبرا ابراهيم جبرا .

١٩٤١/١٠/١١ : سأكتب عن كل يوم رأيتك فيه . سأكتب عن كل يوم سأراك فيه . ستكون ايامي التي لا اراك فيها ايامي التي تموت .

ستكون اللحظات والثواني التي رأيتك فيها خالدة كأيام الربيع .

ذهبت صباحاً انا و(ع) حسب الموعد. (ع) وقف عند الباب ودخلت انا الى الحديقة. كان الكل نياماً ، رجعنا الى الطريق وذهبنا نسير الى قرب « الجرداع » لقضاء الوقت وكانت الساعة ما يقارب السادسة والنصف. بعد نصف ساعة تقريباً كان القوم قد استيقظوا من النوم. دخلنا الصالون لانتظارهم. دخل (...)، ثم دخلت هي. غريب ان الاضطراب الذي كان يعتريني قبلاً عند رؤيتها هو نفس الاضطراب الآن .

كانت مرتدية ثوباً حريرياً اخضر اللون وتنورة زرقاء غامقة من الصوف . كان المجموع مع لون شعرها وبشرتها من اجمل المناظر . اتت (...) و (ف) بعد قليل ثم اكلنا الفطور مع الحديث الجميل على الفيرندا .

خرج (...) و(ع) وبقيت انا و(ف) نتكلم، وكانت هي و (...) في غرفة (...) يرقصون . ثم ذهبت (ف) ايضاً فبقيت انا و (...) معها فقط، ولقد قالت لي انها ستبقى قليلاً جداً ثم تخرج انا وهي . وقد كنت انا الآخر مصمماً على تركها ، لان البقاء معهـا و (...) من اخطر الامور ...

ذهبت لترتدي ثوباً جديداً كانت قد اخذته من امها كما تقول . وعندما دخلت كدت انصعق في محلي ، لا ادري مـاذا اقول . انني مهما اكتب فانني لن اتوصل الى وصف مـا رأيت . لقد ظهرت بثوبها هذا صورة من افظع الصور للجمال والفتنة . في تلك اللحظـة كدت اذوب ، كدت ابكي . كان ثوبها هذا بسيطاً جداً يظهر ذراعيها الى بداية الكتفين وفتحة الصدر على شكل مستطيـل ، اما الوانه فمن اجمل الالوان . وورود كبيرة ذات الوان بهيجة براقة وصافية .

ان هذه القطعة من القماش الالهية الرائعـة التي فصلتها ايادي الجنة كانت على بدنهـا العاري تماما .

لا ادري من الذي كان يقدر ان يتحمل هذا المنظر دون ان يفقد صوابه . كانت هناك طيات رقيقة تتثنى حول صدرها ثم تتلاشى تحت ثدييهـا اللذين كان برعوماهـا متجسمين تحت القماش. وكانت الوان وورود كالحلم تدور حول بطنها وفخذيها كما تدور الحان سمفونية رائعة ثم تتكسر وتتلوى فوق ركبتيها . ينتهي الفستان عند ركبتيهـا وكانت جزيرة من جزر الخيال ، وتتم هـذه السمفونية الرائعة بألوانها وتكوين ساقيهـا الورديتين الصافيتين صفاء البحر ثم قدميها العاريتين .

في بادىء الامر بقيت صامتاً خاشعاً ولقد احست ما فيّ بدون شك . ولكني تشجعت اخيراً واخذت انقد الثوب وكان نقدي كما اظن مصيباً . ولقد ذهبت مرتين او ثلاثـاً الى غرفتها لتمتحن ما اقول في مرآة غرفتهـا . ورجعت اخيراً مصرة على اني غير مصيب (تأملت قليلاً) . ومرة مددت ساعدي على صدرها وانا امتحن الفستان ، ولمست انامليّ ثديها الرطب الباكر فهبت في جسمي نسمة من الغبطة العلوية وريح السعادة سعادة انسان لمس لاول مرة الهاً من معبوداته. انها لم تقل شيئاً ، سوى انني رأيت خديها يحتقنان بالدم.

اتت امها واستلقت على الديوان وكانت هي خارج الغرفة، وعندما دخلتها ارت الثوب لها وقالت : ان كتفي الثوب عريضتان (وكان هذا نفس انتقادي ، ففرحت كثيراً) .

لم اتحمل الموقف اخيراً فقمت وكانت الام نائمة ؛ سألتني ووجهها كله حنو وحنان عن

سبب خروجي وكان بلا سبب طبعاً، فاعتذرت وخرجت بهدوء و(...) لا تزال جالسة.
قلت لها مرة ان الاشياء التي هي جميلة جداً تؤلمني كثيراً بعض الاحيان ...

١٩٤٢/٤/٩ : يظهر ان الظروف لم تكن وحدها هي المانع في كتابة مذكراتي عن ايامي الاخيرة القلائل، بل هو الخوف . نعم الخوف. ان هذه الايام التي تعد على الاصابع هي اخطر ايام حياتي واهمها . انني لا ادري ولا اتشجع ان اقول انها آخر ايامي واياها ، وان شيئاً يقول في نفسي بانني سوف لا اراهـا ثانية ، من يدري ... انها ليست لي ولم تكن في يوم من الايام . انني لم اقف امامها مفتوح القلب لكي تفتح لي قلبها هي الاخرى. انها ستسير وتبتعد كل يوم آلاف الامتار ... سوف تكون في دنيا جديدة وحياة جديدة وصور جديدة وانها ستنسى وتسير مع التيار ، واما بغداد الكئيبة وذكرياتها التافهة فستكون من همس النسيان ومن خيال الماضي الزائل ...

حملت لها صباحاً في اليوم الاخير الطوق الفضي الذي وعدتها به. وصلت البيت صباحاً في ما يقارب الساعة العاشرة والنصف. دخلت وكان الطوق في يدي ملفوفاً بالورق وكنت لا ادري ما سيكون تأثيره فيها. هل ستحبه ام لا؟ كنت غير مرتاح. رأيتها في الفيرندا واقفة فدخلت في غرفة (...) وأخبأت الهدية ثم ذهبت عندها وحييتها . تحدثنا قليلاً وسألتني عن صورتها وهل سأكملها !... عندها قلت لها بانني قد جئتها بما وعدتها به . فذهبت الى غرفة (...) وجاءت ورائي . فاعطيتها اياه وانا مضطرب .

ففتحت الورق وسمعت صوت اجراس الطوق الصغيرة وانا انظر الى عينيها ووجهها . شكراً لله والف شكر . لقد كان هذا اليوم انجح ايام حياتي . لقد وفقت بما كنت اسعى نحوه من ان بين يديها شيئاً اهديه اليها. لقد احبته كثيراً جداً. هذا كل ما كنت احلم به. انه طوق من الفضة بلون غير براق جميل ومعمول بصورة فطرية جميلة جداً. انه سيطوق جيدها في ايام ستأتي. انها ستحس ببرودة الفضة على صدرها الرطب الدافىء وانها ستذكر. ستقف في غرفتها في يوم من الايام امام المرآة وتضع الطوق حول نهدها فيزيدها جمالاً .

ومن اعجوبة الاقدار كان فرحها لا يوصف بـ (خشل العرب) . اسرعت نحو المرآة ووضعته حول رقبتها فتدلت اجراسه وقطعه المدورة على صدرها وكانت مرتدية فستانها الاحمر البسيط . ووقفت طويلاً تنظر نفسها وانا امامها انظرها بفرح منقطع النظير ؛ لم تقل شيئاً حتى انها لم تشكرني . لبسته في رأسها ثم في خصرها فكان في كل مرة يزيدها

جمالاً . سألتني من اين ، فكذبت لها بعض الكذب . ذهبت بعدهـا وخبأته في صندوق سفرها ورجعت مسرعة . خرجنـا للحديقة ثانية واخذنا نتكلم . اقترحت ان نذهب الى حديقة القصر الثاني لقطف بعض الازهار فذهبنا وعبرنا السياج وهنـاك اخذنا نسير بهدوء وحيدين . وكان جو هذا الصبـاح صحواً جميلاً رطب الهواء عذب النسيم ... كنت انظر اليها دوماً والى شعرها ومشيتها وحركاتها وضحكها . لقد كنت في حالة استسلام غريبة . لقد كنت في ذلك اليوم كالمؤمن الذي يصلي اعمق واصدق صلاة عندمـا يعلم ان ايامه قد دنت . وقطعت لي زهرة حمراء جميلة ونظفتها من اشواكها جميعاً وقدمتها لي قائلة : أرأيت اني قد نظفتها من كل اشواكها . انها جميلة ونقية . فقلت وانا استلم الوردة ان بعض النساء يمتزن عن الورود بان ليس لهن اشواك . وقفنا تحت شجرة توت كبيرة فنظرت الى بعض الزهور الصغار القصار المختلفة الالوان ، وقالت : لا ادري ما ينتظرني ...

١٩٤٣/٧/٤ : تركت الكتابة مدة طويلة لتفاهة الحوادث عندي وتشابهها .

١٩٤٣/٩/٢٣ : ... كان لهذا الشتـاء المـاضي وبعض حوادثه اثر خطير في حيـاتي والظروف بُعـد عجيب في مجرى حيـاتي ، فان الانقلاب الهـائل الذي حصـل لي في الـ Painting في هذه السنة هو هذه الظروف العجيبة التي مـا كانت تخطر ببالي . عندمـا كنت في باريس لم اعط اهتمامـاً كبيراً للتصوير مع حبي الكبير له وعلى الاخص المدرسـة الفرنسية الحديثة (يقصد بها الانطباعيين وما بعد الانطباعيين) ورجعت الى بغداد وانا لا اعرف شيئـاً من هذه المدرسة التي كنت معجبـاً بها ... وفي باريس كان قليل من يعرف لتلك المدرسـة حق قدرهـا ويدرك كل اسرارهـا لان مجرى التصوير كان يقوده في تلك الايام جماعة بيكاسو وماتيس وبراك ودالي. وباريس تقبلت هؤلاء برحابة صدر لان صدرها كان مريضاً فرأت فيهم احسن الدواء لاعصابها التعبة الخائرة. فأزال هذا الاندفاع القوي امامه كل شيء وبقي قليل من الرسامين في الطريق التي رسمهـا سيزان ، واعظم هؤلاء الرسامين في فرنسا كلها الآن بيير بونار الذي يعد الآن من اشهر الـ Colourists في العصر الحاضر.

قبل عشرين سنة سافر جماعة من المصورين البولونيين من عشاق المدرسة الافرنسية الحديثة الى باريس مع استـاذهم صديق بونار وهنـاك مكثوا مدة سنة يتعرفون الى عظمـة هذه المدرسة واسرارها بالدرس مع بونار والمحاضرات عن النحت في المتـاحف ، ثم رجعوا الى

وطنهم وكانوا من مشاهير المصورين ومنهم من شاهدت اسماءهم في باريس واوربا .

وكانت الحرب فنقلت بعض هؤلاء الى بغداد ، فتعرفوا بي وبفائق حسن في معرضنا السنوي . وكان ذلك لقاء حاراً وعلى الاخص بعد ان عرفوا اننا «باريسيان» . وابتدأت بيننا صداقة متينة ارجعنا فيها تأثيرات باريس وحياة باريس قدر طاقتنا وقدر ما تتمكن به بغداد. وتعرفت منهم باشياء لم احلم بها، اشياء سيكون لها تأثير عظيم جداً في مجرى حياتي.

اخذت اعرف الآن من هم الـ Impressionists والـ Post-Impressionists . عرفت ما قيمة المدرسة الافرنسية الحديثة. عرفت الآن ما هو اللون . عرفت اللون وكيف تستعمل الالوان . الآن اخذت افهم صور سيزان ورينوار وفان غوخ ، صور عظماء المدرسة الايطالية وصور غويا والتصوير الشرقي الخ . ثم عرفت اكثر من هذا . عرفت قداسة العمل . عرفت قيمة الوقت ... كنا نشتغل كل يوم من ابتدائه الى نهايته بدون انقطاع، وفي المساء نجتمع في القهوة البرازيلية لنحتسي القهوة الفرنسية مع جدالنا الطويل . كنا نسمي قهوتنا هذه Cafe Dome. هناك كنا نتجادل حول كل شيء وكنا آخر من يترك القهوة.

صادف انقلابنا هذا كثيراً من الحقد عند بعض اصدقائنا وهاجمنا كثير من الناس واتهمونا بالتمثيل . فلم نبال لان هذه المعرفة الجديدة كانت تقوي عزائمنا يوماً بعد يوم ،

وكان هذا اللغو الذي يثيره هؤلاء الاصدقاء يتلاشى على هذه الصخرة من الايمان القوي...

ان الفنان الذي ينشد الوصول الى هدفه يجب ان يكرس له كل قواه وحياته ، على الاخص في هذه الايام . فيجب عليه ان يهضم كل قديم ليأتي بالجديد ، وما هذا القديم الا دنيا هائلة ...

اني اشكر الاقدار لتوصلي لمعرفتي الجديدة ، وسأبدأ منها مفتوح العينين ومفتوح الفؤاد لان طريقي منير . قبل سنة كان طريقي مظلماً لا تنيره المعرفة ...

في كل بلاد العالم (توجد) الالوان ، حتى في بلاد بابام وبلاد الاسكيمو . يا اخي الدنيا كلها الوان ، حتى في الوحل الذي امام شارعنا ملايين من الالوان .

من الامور التي افادت المصورين الافرنسيين افادة عظمى دراستهم الصور الشرقية دراسة عميقة والتعرف (؟) على الوانها الزاهية وكيفية استعمالها . خذ كل الصور الشرقية من بلاد الشمس المشرقة الى افريقيا . خذ يحيى الواسطي اعظم من ظهر من المصورين في العراق التي تدعي انها عديمة الالوان — بلاد النخيل . انه خلدها بصوره والوانه ، او بالاحرى خلد نفسه ، لان صوره كانت تختلف عما يرى امامه ، لانه كان يخلق صوره . لا اظنك تذكر الصورة التي كبرها عن الواسطي عطا صبري من مجموعة لمقامات الحريري . انها صورة تمثل مجموعة جمال ، وجمال العراق تعرفها جيداً ، لا يتعدى لونها عن لون التراب . لقد صورها هذا العبقري العظيم ، كل جمل بلون يتناسب مع اللون الذي يجانبه.

... مسيو جابسكي من كبار المصورين البولونيين ويعد من النقاد المشهورين في اوربا . ان بعض كلمات هذه الرجل ستبقى في رأسي طول حياتي . سألنا مرة :

— هل تحبون بلادكم ؟

فأجابه (...) وكان معنا ، على الفور : لا .

فقال جابسكي : انك غلطان . ان الانسان لا يبدع في رسم شيء لا يحبه ، وانكم لن تكونوا شيئاً اذا لم يكن في قلوبكم الحب الصادق العميق للبلد الذي اعاشتكم تربته . خذوا مثلاً المصورين الافرنسيين .

لقد احب رسومي كثيراً واعجب بها اعجاباً شديداً وقال انني واصل فيها الى شيء جديد . وقال ان انا توصلت الى ادماج هذا الرسم مع التلوين فانني اعرف نفسي واحصل على شيء يعرف بي .

ومن اقواله : يجب ان تستغلوا عدم مجيء المصورين الاوربيين العظماء الى بلادكم ، لانها

غنية بالالوان والصور وغنية بالمواضيع .

١٩٤٣/١٠/١١ : لقد كان ان اراها اليوم ولكنها لم تأت . لم ارهـا مدة طويلة واليوم لم تأت لان قطرات من المطر اعاقتها .

رأيت البارحة في مسائه البارد الرطب القمر الجديد . رأيته كأنه يخرج من الموت . كنت انا وسعيد وسهيل قرب المسبح . انني اتشاءم من منظره واظن ان شهره هذا مشؤوم ومظلم ، لانني لاول مرة ارى القمر عبوساً حزينـاً كأنه يخرج من القبر . بعد رؤيتي للقمر نظرت الى سهيل وذكرت امنيتي في قلبي ، وبعد ساعة من هذا الحـادث ، كنا نحفر تحت سيارة سهيل مثل العبيد ونحمل السيارة على الواح من الخشب مثل العبيد ، وبقينا نشتغل ثلاث ساعات ، نحفر تحت دواليب السيارة الضخمة ثم نحملها ثم ندفعها ، فلم يجدها عملنا ثمرة . وبقينـا ننتظر في السيـارة في ليل مظلم موحش قرب الشاطىء . كنـا نستمع الى كونشرتو شوبان وبتهوفن الى ان جاؤوا لنجدتنا .

ذكّرني بالبارحة حادث اليوم. تذكرت سوء طالعي في القمر الجديد. انتظرت اليوم بعد صبر طويل . انتظرت ان اراها . ارى نظراتها . اردت ان اعرفهـا لآخر مرة ولكنها لم تأت ، لان اليوم – نعم اليوم امطرت ساعتين ، وهي تخاف المطر . ولكن هل كان يمنعها المطر عن رؤيتي بعد كل هذه الايام ؟ تلك كانت تعبدني عبادة . يتجسم لي الان ان هذه المرأة قد قطعت كل صلة بها لي. انا اظن على الاكثر انها سئمت ، وهذا ذنبي كما هو كل مرة. ان اكثر النساء اللواتي قطعن علاقاتهن معي كان سببها برودي وكبريائي وعدم اهتمامي . على كل انني مرتاح من النتيجة . نتيجة هذه الفتاة التي كان اتصـالي بها غير اتصـالي بباقي النساء . انها عبدتني كالجارية وانا احببتها لا كما احب باقي النساء . لا ادري ، لقد كان فيها شيء ليس في باقي النساء ، لا في الايطالية ولا في الفرنسية . من يدري ، يمكن لان دمهـا الحـار كان يشبه دمي . لم تكن جميلة ولكن وجههـا وفمها كان يستهويني ويجلبني اليه كما يجلبنـا الهواء لاستنشاقه . كان لكلماتهـا البغدادية الطبق الاصل وحنانها البغدادي ، بلد امي ، يزيد تعلقي بها ؛ ثم هذه الحركات والضحكات ، ثم هذا العطف والحنان ، ثم الحب ، ثم الاستسلام اللانهائي ؛ تصرفاتها وشجاعتها وجنونها كلها كانت تستهويني . انني سأحاول ان انساها ، ولكن هل سأنسى قبلاتها الدافئة الهائمة ، قبلاتهـا العديدة التي كنا نسرقهـا سرقة ؟ هل سأنسى شعرها وبشرتها السمراء ؟ لا...

١٩٤٣/١١/٩ : ان الشك والغموض يقتلانني . اريد ان اعرف الحقيقة كي اعمل بما يجب ان يكون . ان هذه الفتاة قطعة من الغموض . هل احبت غيري ، او هل رجعت الى خطيبها ام لا تزال تحبني ؟ اريد ان اعرف . البارحة كانت باردة كالصخرة . انها شيطانة في رداء من السحر . انها آلة جميلة بلا وتر . لعلها تنتقم مني . لعلها لم تحبني يوماً من الايام بل كان اتصالها بي مجرد لهو . لعلها امرأة عادية قد خلقتها انا ، ولكن ميلي لها وتعلقي بها ؟

لا ادري . اني ضعيف . هل ارضخ وارى ضعفي لها ؟ ام انتظر ؟ هل اقول لها اني كنت اذكرها طول مدة السفر ، اني كنت ارى وجهها على الجبال الخضراء ، على اشجار البلوط ، على المياه البيضاء المتدفقة ؟ كنت احس بذكرى قبلاتها وحرارتها في المساء عندما اختلي الى نفسي ، وهل اقول لها ما قاسيت من هذه الذكرى ؟ وهل اقول لها اني اتيت الى بغداد وتعذبت بالانتظار ؟

كنت انظرها ملياً وهي تشتغل البارحة . لقد نظرتها بغير قلبي . انها امرأة عادية ككل النساء ، ولكنها امرأة تجتمع فيها كل النساء . ملابسها وحذاؤها الجميل . جسدها الحار الممتلىء المثير . فمها وشهوة الجاذبية فيها . شعرها الطويل المبعثر . لقد كنت انظر اليها طويلاً وجسدي احسه يحترق ...

١٩٤٤/١/١٥ : ... ان الفن ككل حركة ثقافية اخرى يتبع تطورات الحرب ونتائجها ، فالحرب الماضية اثارت حركة من حركات الفكر في اوربا وظهرت مدارس جديدة في الشعر والموسيقى والرسم والنحت ، ولقد سميت هذه المدارس وهذه التطورات الفكرية اليوم بما بين الحربين . ولقد تشعبت آراء النقاد الاوربيين بقيمة هذا الفن ... الا ان السوريالزم وهي آخر ما وصلت اليه هذه المدارس الحديثة تعطي فكرة بسيطة عن مدى تعقد هذه المدارس ومبالغاتها .

اما في العراق فالفن على حداثة نشأته فيه لا بد ان يتأثر بهذه التطورات الجارفة ان كان قليلاً او كثيراً حتى ما ستعقبه بعد الحرب الاخيرة ، ولكنني شديد الامل ان للعراق مستقبلاً باسماً في الرسم ، اولاً لبعد الفنان العراقي عن الحرب نسبياً وانهماكه بعمله ، ثانياً ما وهبته له ظروف الحرب من الاتصال بشتى الفنانين الاجانب من انكليز وبولونيين وغيرهم .

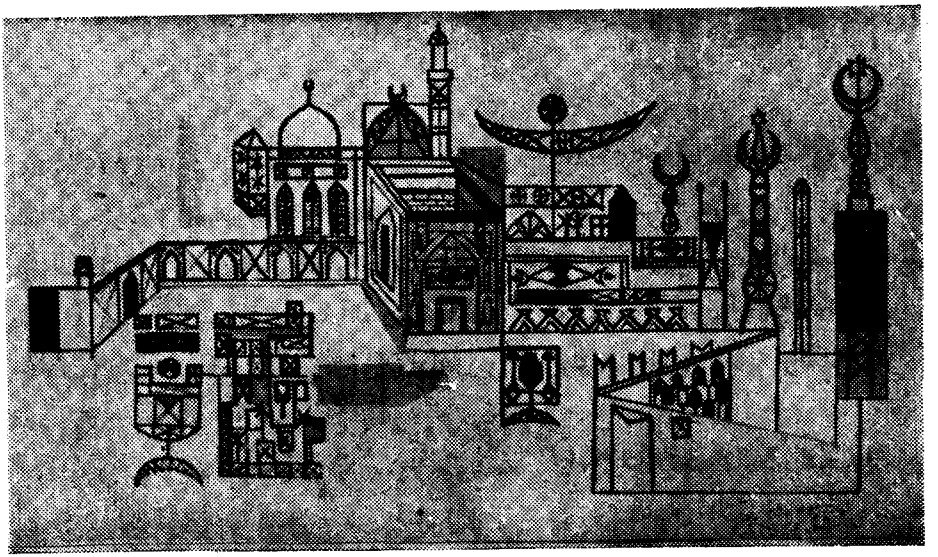

... انني كثيراً ما امثـل دور النحات بالمؤلف الموسيقي ، فالمؤلف الموسيقي تتعلق درجة انتاجه بكثرة سامعيه فكلما كثروا كثر انتاجه واخذ شكلاً ارقى وانفس وكلما قلوا صغرت انتاجاته وقلت قيمتها. والمؤلف الموسيقي لا يمكن ان يؤلف سمفوني او اوبرا الا بطلب حكومي او طلب احدى الجمعيات الكبيرة ، كذلك النحات لا يمكن ان يعمل غالباً الا للحكومة او الجمعيات . وتشابه القطعة الموسيقية بسعة رسالتها النصب الموضوع في احد الميادين الذي يعطي فكرة نبيلة عالية لكل سائر .

وللعراق مستقبل باهر في النحت لافتقار متاحفنا وميادينا وبيوتنا الى انتاج النحات. وكما كانت في اوربا حركة واسعة بعـد الحرب العظمى لاقامـة النصب التذكارية واشتراك النحات والمعمار في عمل دنيا جميلة فان انتهاء هذه الحرب سيفتح باباً اوسع لاشتراك الفنان في بناء دنيا جديدة مفرحة وصالحة .

١٩٤٤/٤/١٥ : اليوم اظن قـد انتهى كل شيء بيني وبين ... واظن ايضاً قـد انتهى الحب بيني وبين اي امرأة اخرى . يجب ان لا انكر على نفسي اني وصلت عمراً جدياً يجب ان اكرسه الى امور اهم من التسلية والعواطف – الحب – وضيـاع الوقت . وفوق ذلك قد وصل عمري الخامسة والعشرين فانا في طور آخر الآن غير طور الشباب . وايضاً لا اعتقد ان امرأة اياً كانت ستتعلق بي . هذا ما اتصوره ! من يدري .

كثيراً ما كنت الوم نفسي على الاوقات الضائعة وكنت اقرر دائماً ان ابدل من نفسي وانظم اتجـاهي ، ولكن ضعفي ينقلب عليّ في كل مرة . وفي الحقيقة اني لا الوم نفسي .

انني انسان او حيوان بابسط عبارة ، اريد ان اعيش ، اريد ان اشبع من الحياة . اريد الحياة كلها حلوها ومرها . اريد ان اكون ككل انسان . كثيراً ما تخطر ببالي هذه الفكرة الغريبة المرة وهي انني وان كنت سأعمل شيئاً في المستقبل او اكون شيئاً ولكن سأموت بعد هذا الاجهاد الهائل والتعب المضني . اموت وانا لا اعرف الحياة . لا اعتقد اي قيمة ستعطى لي بعد هذا العمل . اهو الخلود او الشهرة بعد ضياع العمر ؟ انني سوف اموت ككل البشر ولكني لن اعيش ككل البشر . كثيراً ما اتمنى ان افرغ من كل شيء. ان انسى كل شيء . اريد ان انسى كل ما رأيت وكل ما سمعت وكل ما قرأت . اريد بكل نفسي ان اكون انساناً فطرياً ...

١٩٤٤/٥/٢٩ : لاول مرة في حياتي شعرت باليأس وانا الذي كنت دائماً بعيداً عن التشاؤم. اصابني يأس مزعج. يأس من المستقبل؟ لا اريد بالمرة ان اكون ضحية عملي. اريد ان اعيش . اعيش ككل الناس لاني سأموت مثلهم . اخذت افكر الآن بصورة جدية في قضيتي . ان الانسان كلما تقدم بالسن اصبح واقعياً . اني لا اريد ان اكون كروزيتي ، يبذر قابلياته بين الشعر والتصوير لا يدري ايهما يجيد . وروزيتي عاش في طور رفاه وهدوء لا نهائي . انا اعيش الآن في وقت يسمى القرن العشرين وتقسيم قواي بين الرسم والنحت من المؤكد سيوصلني الى لا شيء ...

اني افكر ان اتحرر من الرسم يوماً من الايام ، لاني اشعر شعوراً اكيداً انه ليس بالشيء الذي اعيش من اجله . انه لا يعبر عن نفسي تمام التعبير . في المعرض الربيعي الاخير لجمعية اصدقاء الفن وضعت ثماني صور زيتية كانت عندي احسن ما عملت ، ولقد هنئت عليها كثيراً وقد اعجب بها رسام انكليزي شاب واسع الثقافة وكان يكيل لي المديح الى درجة السخافة. مع كل هذا كنت اشعر ان هذا الشيء ما كنت انطق به تماماً. ومن المعروضات التي عرضتها قطعة صغيرة من المرمر العراقي الشفاف تقريباً سميتها النهر الاسود. نحتها رأساً في المرمر بعد ان طبختها وقتاً طويلاً في رأسي واتممتها خلال شهرين بعمل متواصل . وضعتها بسعر بخس جداً . لم يشترها احد ولم تثر اعجاب الا القليلين . انها تثير في نفسي كلما رأيتها نوعاً من الكبرياء والراحة ...

في هذه السنة افتتح في بغداد ما يقارب الستين معرضاً . في آخر يوم من معرضنا الربيعي الاخير القيت محاضرة عن «العمل الفني» ، وضعت فيها كل معلوماتي وتجاربي

وبحوثي عن الفن وعمل الفنان . وفي رأسي الآن محاضرة جديدة غريبة في نوعها وسأجعلها تدوي دوياً قوياً ، وهي : الفن في العراق الحديث، الفن في الشارع والبيوت وفي كل شيء في حياة العراق . وكنت بدأت بها من وقت ليس بالقصير وجمعت لها الامثلة والحقائق العديدة . ولقد اهاج في رأسي كتابة محاضرة كهذه المحاولات الطويلة عن الفن العراقي في مناسبات كثيرة وعلى الاخص في دعوات الكابتن تولست ، ورسالته فيها شيء من ذلك ايضاً . وسأهاجم في هذه المحاضرة كل شيء قبيح او ميت هجوماً عنيفاً فظيعاً .

١٩٤٤/٨/٢ : الحرب على ما يظهر تقترب من النهاية . هذه الحرب السوداء التي كانت شراً على كل انسان . هذه الحرب ، التي حرمتني من كل شيء تقريباً ، في دور الاحتضار وستموت بلا شك – ولكن لا ادري في هذه السنة ام السنة المقبلة. على كل، مع قرب النهاية فاني لاارى المستقبل، اذ كثيراً ما يتصور الانسان خطواته في المستقبل ويرى نفسه يصعدها واحدة واحدة . ولكن هذه الحوادث الهائلة والانقلابات الجمة جعلتني ارى كل شيء تقريباً ينهار ويتهدم .

الآمال والخطط . ان هذه الايام تمحو كل خطط المستقبل ، هذا لا يعني اني اتشاءم من مستقبلي ، بل يجعلني ارى المستقبل غامضاً كليل لا يشع فيه الا بصيص خافت من النور .

كنت قبل ايام او قبل سنين لا اعيش الا للمستقبل ، وكانت كل تصرفاتي واعمالي تحت خطة واحدة وميزان واحد : المستقبل . ولقد جاء عليّ هذا الناموس بكثير من الالم والنحس في اتصالي بالمرأة وعملي . كنت لا اتصل بامرأة الا وافكر ما ستقودني اليه تصرفاتي معها في المستقبل، فاما ان اتركها واما ان اتجرد من العاطفة. وهذه الغلطة الكبيرة تكررت عندي مراراً ولم تكن درساً الا في هذه الايام ، وكانت درساً مراً . واما عملي فكنت افكر وابحث اكثر مما احس. والاحساس بالشيء على ما اظن هو اهم من التفكير فيه . ان الانسان يحس قبل ان يفكر . وخلاصة الحقيقتين هي اني امضيت خيرة ايامي في التفكير اكثر مما امضيتها بالشعور والاحساس . . .

في هذه الايام ارى اعمالي تضيّق عليّ الخناق، واحس ان ابتدائي تعلم القيثار مع المسيو جميل يرهقني في العمل ، ولكن الآلة هذه تجلبني اليها بصورة غريبة . خروجي في المساء انقطع تقريباً لقلة وقتي . انني لا ادري . هناك مئات الاعمال التي يجب ان انجزها : القراءة ، الترجمة ، الرسم ؛ الدراسة الهتني عن انجاز المواضيع التي يجب ان اتمها للمعرض

السنوي واشياء اخرى التي اراها تتراكب كالجبال على رأسي. ان الحرب على وشك الانتهاء وعندي قطع صخرية كثيرة لا اود تركها ، ثم عندي اصباغ ومواد للرسم اريد ان اقضي عليها جميعاً ...

١٩٤٤/٩/٢٠ : استغربت اليوم كثيراً عند مشاهدتي رقم ٢٠ قرب ايلول . يظهر ان الايام تسير بسرعة فائقة وعلى الاخص باقتراب موعد المعرض . اني اريد ان تسير الايام بسرعة لتنتهي الحرب ، واريدها ان لا تسير بسرعة لأنهي اعمالي . ذهبت اليوم مع امي الى المستشفى . مسكينة امي . ان اوجاع يدها تزداد في كل يوم . لا ادري ما ستكون نتيجة هذه الاوجاع . اتمنى لها الخير . انها امرأة عظيمة لا تستحق كل هذا . حياتها المليئة بالعمل المضني والتعب والدموع ثم بالفاجعتين الاخيرتين (موت ابنها الشاب رشادثم موت زوجها والد الفنان) . ليس من الحق ان يريها القدر كل هذه الآلام . ساعدنا الحظ في المستشفى برؤية خليل وسهّل علينا رؤية الدكتور ثم الحصول على الدواء . ورجعت امي راضية بسيارة سهيل الى البيت ، وهناك رأيت مناظر مزعجة تعيسة لاناس لا يدرون ما هي الحياة لان الحياة لا تعطيهم الا البؤس والشقاء والجوع . ان الشقاء يلهيهم عن معرفة الحياة . بعد رجوعي الى البيت اشتريت بطيخة كبيرة لامي وكانت حلوة وفرحت بها كثيراً . لقد شعرت بعد ان قبلتني امي عند ظهر ذلك اليوم بنوع هائل من الغبطة والفرح . كان فرحها بي لا يوصف مع اني قمت لها بعمل بسيط .

١٩٤٤/١١/١٦ . انني من الذين يؤمنون بالمستقبل . انني اثق بالغد واؤمن بفوز الحق والافضل . وكل انسان يتطلع الآن للمستقبل . الغد ما اقربه . غداً السلام يقترب واشباح الموت وآلات الشر تحتضر في بيوتها . الم تتحرر باريس كعبة الفن ؟ وبيكاسو النبي الم يخرج للعالم من جديد بعد انكماشه في بيته طوال اربع سنوات لم ير فيها باريس وكان يعيش في باريس ؟ ويقول بيكاسو الآن : « ان نوايا الفنان المبدع اليوم هي صد البشرية عن التردي الى حضيض الفوضى » . هذه كلماته بعد تحرير باريس .

خلال هذه الاربع سنين التي توقفت بها باريس واوربا عن العمل الجميل ، لم تقف بغداد عن العمل . كانت تعمل ببطء وصمت . كانت فقيرة جاهلة . ولكنها كانت تشتغل خلال هذه الفترة من الاربع سنين او الخمس . فانشىء اول معهد للفنون وفتح اول متحف

حكومي للرسم والنحت وابتدأت اول حركة قوية ومباركة في مضمار المسرح والموسيقى الكلاسيكية والوطنية .

كانوا قلائل تحدق بهم المصاعب من كل جانب في عملهم الابداعي وتهيئة الجمهور للفهم والتذوق . اما عملهم، فبصفتهم البعث الاول منذمدة خمسة قرون، كانت محاولتهم صعبة وهم يهيئون الاسس للاجيال الشابة القادمة. كان عملهم ينحصر في تأليف حلم هذا الاعرابي الملون غير المتناهي في كتب التاريخ وزخارف الريازةالعربية، وحتى ابعد من ذلك التأليف بين انسان عاش بين احضان النهرين منذ آلاف السنين وصنع من طين هذه التربة تماثيل صغيرة جميلة ، وبين تعبير استمده من لندن وباريس وروما .

واما الجمهور فانه على سذاجته وانصرافه عن تذوق هذا الشيء الجديد قد مهد للفنان ارضاً خصبة بكراً لبذر الثقافة الجديدة .

جاء الى بغداد في هذه الفترة المديدة من الزمن اناس كثيرون ، واذا كانت اوربا قد اوقفت حركة انتاجهم فان بغداد هيأتها للعمل . وفتحت للفنان منهم عالماً جديداً من المرئيات تحت ظلال قبابها الفنية . ولم يكن هؤلاء طلاب البوزار في باريس او السليد سكول في لندن بل كانوا ذوي افكار جديدة ومن الذين يمزجون في انتاجهم الفني عصارة تأملاتهم ودراساتهم بدنيا احساسهم وخيالهم.

كان هؤلاء الاجانب ذوي اثر على هذه الفئة من الاشخاص ، ولم يكن التأثير مجرد تبادل مدارس جديدة للفن . لقد ارتبط هؤلاء مع بعضهم بميل فطري واحد هو انساني محض : حب الحياة والكفاح في سبيل النظام الطبيعي ، حب الحياة والاشياء البسيطة التي تنسينا الموت . لقد كانوا رجالاً اكثر مما كانوا فنانين ...

١٩٤٤/١٢/٧ ... ليست لي رغائب بالسياسة ما دمت حياً ، ولا يفرق عندي اي انسان عن اي انسان ...

١٩٤٤/١٢/٢١ : نزلت اليوم صدفة الى السرداب وبيدي الشمعة. وعندما دخلت بعد فتحي الباب لم اسمع اي صوت للكلب الصغير الذي اعطتني اياه ... والذي رفضته منها . ولقدكذبت عليها عندما قلت انني لا احب الكلاب.لم اسمع اي صوت للحيوان المسكين. لقد كان ميتاً في زاوية من السرداب ، ميتاً من الجوع.ولقد شعرت باحتقار شديد لنفسي

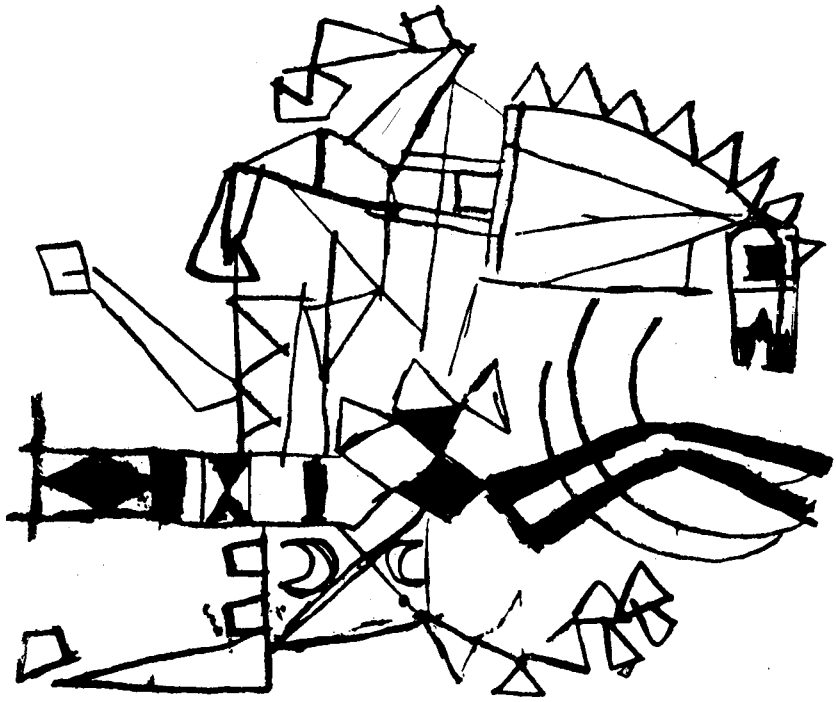

ولكل شيء . لقد ترك المسكين ليموت من الجوع والبرد . ليتني قد رميته في الشارع او اعطيته لخالي الذي طلبه او ابقيته عند خالتي . سيكون هذا اقسى درس لي في حياتي لاكون انساناً كاملاً في المستقبل . بقيت ما يقارب النصف ساعة قرب المسكين وبيدي الشمعة . ولقد حاولت البكاء لارضي نفسي فلم استطع. كنت اشعر بجرمي الفظيع. كنت اتصور الآلام التي سببتها لهذا الحيوان التعس الاعزل والالم يأكلني اكلاً .

١٩٤٥/٨/٧ : البارحة اغلقت ابواب المعرض لمدارس بغداد . وقد لاقى المعرض لأول مرة في بغداد نجاحاً منقطع النظير . كان الناس يأتون بالألوف يومياً . وكان عدد النساء اكثر من الرجال في الغالب . وكانت الأوقات الصباحية خاصة بالنساء . فذهبت في اكثرها . كنت اقضي الوقت في سماع قطع من الموسيقى والتفرج على النساء اللواتي قليلاً ما يمكن ان يراهن الانسان في فرصة اخرى . ولقد أتاحت لي الفرص ان اتطلع عن كثب وبتأنٍ الى هذا النوع الجميل الغض من البيوت الفقيرة والبيوت الراقية . تلك الرقة والأنوثة الهائلة والعيون الواسعة السوداء المليئة بالرغبة المكبوتة والحياء الجذاب . وأجمل شيء لفت نظري هو هذا الرداء العجيب – العباءة – والطريقة التي يلبسن بها العباءة ، وهن يتمخطرن امام المعروضات بنعومة واهتزاز متثاقل . وهي تنزل من على رؤوسهن

ثم تلتف حول ادوار الكتف وتأخذ قطعة منها في الدوران حول الذراع العاري الأسمر ويخرّ قسم منها الى الارض سابحاً حول الردفين بشكل مبهم ثم ملتفاً حول الساق الملوحة.

كانت هذه المناظر تجذبني لدرجة قوية مع مناظر البنات الصغار بأرديتهن القصيرة وشعورهن النظيفة المنظمة تزينها شرائط حمراء أو خضراء والفتيات ذوات الشعر الغزير والنهود الصغيرة والفساتين الملونة البراقة .

١٩٤٥/٨/٢٧ : ... عندما كنت اسير الى المعرض اعترضني في الطريق متسول عصر هذا اليوم . والمتسول لا يخرج الا وقت العصر . وقد كان يستعمل كل كلمات الرحمة ، ولقد رثيت له وكنت على وشك اعطائه ما بقي في جيبي للرجوع الى البيت في الباص ، وأنا في هذه الايام لا املك اي شيء . ولكن ما ابتعدت عنه قليلاً حتى سمعته يقول ، وكان آخر ما قاله : مسكين ، الله يخليك ...

ثم قال بصوت خافت : الله يكسر رقبتك .

١٩٤٥/٩/١٤ : انتهت الحرب والحمد لله . وقد اثير خبر رجوعنا لاتمام الدراسة في ايطاليا ، انا والدروبي وعطا صبري . مستحيل بعد ما حصل لها ، ولذا فاننا على الأكثر سنذهب الى لندن . على كل فانني افضل البقاء في بغداد سنة اخرى لأتم بعض المشاريع والدراسات ، منها القيام بتتمة بعض الاعمال ثم المعرض والقاء بعض المحاضرات تكون دراسة دقيقة عن ميول الجمهور العراقي وما يحبه وما يفضله .

جمعية اصدقاء الفن على وشك الانهيار والموت . اما ما حصل بيني وبين باقي الأعضاء فانه يضحك ويبكي . وقد انفصلت عنهم جميعاً .

١٩٤٥/١٠/٣ : قبل أيام أنهيت عمل « البنّاء » (Master Builder) التي كنت قد سميتها كذلك وعساني قد حققت فيها الشيء الذي أريده .

استقرت في رأسي فكرة انشاء هذا الموضوع منذ عدة سنوات . وقد استوحيت الشكل عند رؤيتي اسطة طه البنّاء الوحيد في العراق في عمل الزخارف وهو يعمل بكل دقة وهدوء في زقاق القصر العباسي . وقد أعجبني شكله وما جاوره من الصور والحركة والحياة واهتمامه بعمله وتأكده منه ، ثم العظمة التاريخية والفنية في الشيء الذي يحاول

اصلاحه . بعد رؤيتي هذا المنظر ازدحمت في رأسي ذكريات وأفكار حفرها هذا المشهد في زوايا منسية من رأسي . وتلا ذلك اتصالي المباشر بأهل البناء والاسطوات والخلفات والصناع الصغار عند بناء بيتنا الحالي . لقد كنت وأنا صغير أعجب بذلك الأسطة وهو يشتغل بكل نشاط وشوق ويضع الطابوقة فوق الاخرى بصورة مؤكدة وموزونة ومركزة كالصانع الاول ، وتدرج الصناع حوله ، ثم القصص التي كان يتخيلها والحوادث عن مهنته وحبه لعمله واندماجه فيه . وكنت أعرف ، وعلى الأخص في هذه الايام ، ان هذه الصناعة لم تكن ما كانت عليه في الأزمنة القديمة في العراق أو فارس ، صناعة يقدسها أصحابها ويندمجون فيها كما يندمج الكهنة في الدين . ولم يبق ذلك الصانع الذي تخلق يده جامعاً كجامع مرجان أو قصر الحمراء . فاضطررت وأنا أدرس هذا الموضوع الى الاتكال على الماضي ، على القباب القديمة التي هي أهم شيء يفخر فيه العربي أو هو الشيء الوحيد الذي أعطاه للفن المعماري . وشيء آخر ، وهو الذي استمددت منه الاسم وعلى الأخص بالانكليزية ، هو قراءتي لمسرحية ابسن عن ذلك الاسطة الذي مات لفنه . ومرت الأيام والموضوع يأخذ شكلاً جديداً في رأسي ، ثم خطوت خطوة عملية بطلبي قطعة حجرية كبيرة مسطحة من الموصل ، ووصلت الى مشغلي في المعهد والفكرة لم تختمر في رأسي جيداً . كنت أجلس الساعات أنظر الى سطحها الأبيض المجلوّ وأشاهد الأشكال والصور وهي تخرج وتتحرك أمام عيني على الحجر . ورسمت عدة صور ، ثم لجأت للطين عساني أصل الى شيء الى ان أنهيت الفكرة في الصيف الماضي وابتدأت بالحفر على الحجر . واذا أردت ان أشرح ما حفرته على هذه الحجرة فسوف لا يتعدى الشيء الشكلي الحاصل ، فانني أفضل السكوت ... ولكن يجب أن أذكر هنا اني بلا شك قد استعنت ، زيادة على نفسي والطبيعة والاتجاهات الحديثة ، بعدة اتجاهات فنية : مصرية وأشورية وغوطية Gothic . وهذا شيء طبيعي . وكان في الاخراج اتجاهان : احدهما هو ما بدأت فيه أول عملي للإنشاء وكان نوعاً من الابتدائية الخشنة النقية الخطوط الهائجة العواطف ، والثاني اتجاه كلاسيكي مثقف .

ولكن اثناء العمل وعلى الأخص في اخراج اليد اليسرى للاسطة التي حاولت فيها ، وهي تلمس أعلى قمة وأنا أستذكر كلمات ايلي فور عن الأعرابي ، ان اعطيها كل شيء مثالي وروحي ، أو كنت أحاول اظهار العقل والروح فيها — وعلى نعومة المادة الصخرية ظهرت اليد اكثر مما أردت من دقة الاخراج وابتعدت عن الفكرة الجامعة للانشاء .

ولكن عوضت عن هذا النقص نوعاً ما في اليد اليمنى التي حاولت فيها ان أمثل القوة والشدة الجنسية – أي اليد التي تصنع وتحس وتلمس ، لا اليد التي تفكر . أردتها أن تمثل القوة الجسدية فقط – الاحتمال والصبر والعرق المتصبب . ثم كيف يمكنني أن أبتعد عن الجمال ورقة الخطوط والجاذبية الجنسية في اخراج الصناع الصغار ؟ وكنت حتى وأنا أشتغل في عملي أراهم بوجوههم الحمراء المفعمة المكسوة برذاذ الجص وهم يشتغلون بلا انقطاع في البناية المجاورة في ذلك الوقت للمعهد (ملهى أنوار الفن) . وكان هؤلاء الصغار اسطوات المستقبل بشفاههم الحمر وعيونهم الكبار الدعج في طرف ، وفي طرف آخر العمال المرذولون المساكين الذين يأكلهم المرض والجوع والبؤس من الكبار الذين لا عمل لهم إلا الحمل وبعض الاشغال البسيطة. وأظهرت هذه الفكرة كاظهار الفنان الأشوري القديم بالنسبة لتوجيه العمل في قطعه الفنية واعطاء كل شخص في موضعه حق قدره من الزخرفة والاتقان . فزيادة على ما يعطيه من نسب أكبر للملك ، مثلاً ، كان يهتم بدقائق عضلاته وزخرفة ملابسه أكثر من الوزير ، ويتدرج الى ان يصبح الأسير مجرد خطوط بسيطة . ولكنني في هذه القطعة لم أهتم بالصانع الأكبر أكثر من حامل الحفرة لأنه موفور الحظ بالنسبة للآخرين. مجرد اخراجي الاسطة متقنا والآخر غير متقن أو غليظ الخطوط وغير منسق السطوح كان يوصلني للواقع أكثر . فاني أتصور ان القطعة الفنية يجب ان توجه حسب الموضوع ، فمثلاً لا يمكن عمل تمثال يمثل الشهوة الجنسية كعمل تمثال (بالنسبة للاخراج طبعاً) يمثل القدسية الدينية. وفي الختام فانني أعتقد ان هذه القطعة لو استمهلت عملها قليلاً لجاءت في قالب أصحّ وأنسق. وسوف يأتي اليوم الذي أرى فيه كل أخطائها.

هذا أول عمل فني عملته أحبه وأعجب به كل شخص . وأهم تهنئة وأعمق مديح حصلته في حياتي هو عندما تسلق البناؤون المجاورون للمعهد ومعهم الصناع لمشاهدتها وأعجبوا بها كل الاعجاب . وكان يتعرف كل شخص بنفسه في القطعة .

... وفي صورة عملتها للفراش حسين استقر في رأسي شيء خطير وهو اني لا اصلح لأن اكون رساماً ، لأني أرى شيئاً وفرشتي تعمل شيئاً آخر وفرشتي لا تخرجه . وقد استنتجت في كثير من المرات اني لا ارى الألوان بالقوة التي يتطلبها رسام بارع من الصنف الأول . وانا لا اريد ان اكون مصوراً من الصنف المتوسط. اني افكر بالشكل والحجم اكثر مما افكر باللون ، وهناك شيء غريب قد يكون عديم النفع (لا ادري) وهو اني اجتهد بكل طاقتي وأحرص اشد الحرص في اخراج حتى ابسط القطع في النحت ، بينما

يكون الرسم لي كلهو بسيط لا يهمني ، ان كان حسب اتجاهي القديم او الحديث بالنسبة لصوري التي عملتها قبلاً . لقد كان للمعهد وموقعه اثر في مجرى حياتي لن انساه مدى الحياة . قضيت فيه اربع سنوات رأيت فيها كل شيء : الحب والعمل . والآن في اللحظة التي سأغادر فيها بغداد الى اوربا مرة اخرى تنتقل فيه هذه المؤسسة الى موضع آخر لا يصلح لشيء . واذا لم تنجح سفرتي فسيكون حظي تاعساً ، فان المحل لا يصلح لي ولا لتلاميذي . ان المحل الجديد دار بلا حديقة ، وبلا ذلك الممر الجميل المنعزل وتلك الغرفة وتلك الفسحة امامها التي رسمت فيها ...

١٩٤٦/٢/٢١ : الآن وانا في الباخرة التي تخترق المحيط الى عالم جديد اتذكر تلك الصفحة التي كتبتها وانا في باخرة ايطالية تحملني الى ايطاليا والتي وصفت فيها كيف فارقت اهلي وفي عيونهم الدمع ، وكانت ارض المطار في ذلك الفراق تحمل امي وابي واخوتي بأكملهم . كانت كلماتي في تلك المرة على تلك الصفحة فيها كثير من التأثر الذي انتقل بعده الى الفرح العظيم والأمل الذي ما كنت اتصوره انه سيتحقق . والآن وانا في الباخرة وبعد ان تم كل شيء ، بيني وبين الدنيا الجديدة اربعة ايام فقط . سأكون في اوربا بعد هذه السنوات الخمس في بغداد التي مع اني قضيت بعض ايامها بسعادة وبعضها بالعمل والتجربة ولكني دفعت اكثر ايامها غالياً . إلا انها عرّفتني الحياة والعمل ، عرفتني الأصدقاء ، عرفتني المرأة ، عرفتني الألم . والآن لقد انتهيت من بغداد . اني اتطلع الى عالم نقي خال من الكذب . في يوم الرحيل من بغداد في ٨ شباط سنة ١٩٤٦ ودّعت امي واخذت تقبلني بحرارة ونصف وجهها مستور بالبوشي (اي الحجاب) . لم أرَ عينيها اللتين كنت متأكداً انهما مليئتان بالدموع ، وعندما ابتعدت عنها لم أرَ وجهها المغطى بالبرقع . وبعدها اختلطت بالمودعين وودعتهم واحداً واحداً وقبّلت اختي نزيهة ونوزاد ثم سعاد مخترقاً الأصدقاء الذين كانوا بكثرة امام الشركة المتحدة. وعندما تحركت السيارة لم ارَ من اهلي إلا سعاد من خلال الشباك . بعد ان تحركت السيارة تذكرت الغائبين ، وبينما كانت السيارة تعبر الجسر عابرة نهر دجلة نظرت الى القباب والمنائر وراء البيوت وودعت ابي واخي رشاد . كانت سفرة السيارة غير ناجحة ابداً ولكنها انقضت بسلام . وقد ادهشتني عدة اشياء لدى دخولنا فلسطين ، منها الهضاب والتلول المغطاة بقطع الحجر الأسود . لقد كان منظرها جميلاً خشناً ..